

## ISLAM IS THE MOST COMPLETE SYSTEM OF HUMANITY

الإسلام هو النظام الأكمل للإنسانية

Qari Badruddin, Dept. of Arabic, Federal Urdu University Karachi.

Khalil Ahmed, Dept. of Arabic, Federal Urdu University Karachi.

**ABSTRACT:** As regard to the concern of Islam, it has awarded most perfect and balanced rights to both women and men according to their build and structure and has determined the *Fariaz* (duties) and *Wajibats* (important things) with extreme justice, especially for woman, because woman was continuously remained oppressed and unjust from the ancient era. Therefore, Islam has determined the rights of woman according to her nature in extreme justice. In Islamic rules, there is no excessive cultural and traditional rules as similar to the ancient nations nor the deficiency of the moderation civilization, by showing the green garden to the woman made her shelter to shelter less. and want to compel her to knock the door to door, so she can become a toy in the hands of man and can dance of the its signals. However, in Islam, man and woman, being a human has equal status and position and as regard to the concern of performing of *Fariaz* (duties) and *Wajibats* (Important things). The circle of deeds of both are separate from each other. Islam has handed over the economical responsibilities and burden of the family to the man according to the decision of the nature and the burden of domestic arrangements handed over to the woman according to her physical built. It is a correct and natural circle of works according the both mental, physical and psychological rights and there no any aspect of insult and disagree for anyone, because man himself is a complete in his place and nor a woman can perfect human in her place, but a complete personality is in existence with the harmony of the both. Allama Fareed Wajdi writes: "Woman is awarded with such powers which assist her to perform the natural duties and man has awarded with Physical and intellectual powers which is the source to perform his cultural duties, in this way the both sex has equal status and both have equal share in the universe system."

**KEYWORDS:** natural, psychological rights, *Fariaz*, *Wajibats*, duties, extreme, civilization, psychological.

كثيرا ما تسمع من هواة الغرب، وممن هم بحضارته، يندد بالخلافة والنظام الإسلامي أو يعدّها أسوأ الأنظمة، وأظلم الدساتير، ويُشنع القول به بلسانه السلط على أهلها وبناتها وأمهاتها دعاءً إلى النظام الغربي والسياسة الغربية والديمقراطية التي هي أكبر طاغوت في هذا العصر الراهن، وأكثرها جهلاً وتيّهاً وعمى وضلالاً، وأظلم الظلمات لهذا القرن العشرين والحادي العشرين، وهو في الحقيقة سرطان موبق لتوحد الأمة الإسلامية، وأعظم وسيلة لتحقيق أهداف عبدة القردة والخنازير، واحتلال أراضي المسلمين وتضليل عامة الناس، وإثارة الفوضى والظلم والجور والاضطهاد والانحلال الخلقي والتفسخ الاجتماعي في الدول الإسلامية، وهي أعظم أداة لإبعاد المسلم من تعاليم الدين الخفيف. فهؤلاء يدعون الإسلام، ولكنهم يقومون بما يقطع صلتهم بالإسلام، وينقض ادعائهم الإيمان؛

لأنهم لا يدخرون وسعا في النيل من الإسلام الحقيقي ونظامه المتبني على العدل والسلام والإخاء والود والمواساة، ألا وهي الخلافة الإسلامية ! فيصبحون للأعداء الذين يحملون في قلوبهم العداة العنيف والحقد الشديد للإسلام أهله عملاء خبثاء، ويغنون بهذا الطريق ثروهم الإيمانية وبضاعتهم الثمينة بدولارات، ومتاع قليل من هذه الدنيا الدنيئة.

الإسلام دين ودنيا، قلب وقلب، عبادة واجتماع، أخلاق وتعاشر، عبادة وسياسة، وهو أتم دين من جميع النواحي،<sup>1</sup> كما قال — عزّ وجلّ —: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>2</sup> وقال — تعالى — أيضا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>3</sup>

لا يرضى الله — تعالى — بدين سوى الإسلام، وقد أخرج ابن جرير عن قتادة " شهادة أن لا إله إلا الله تعالى والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث رسله به، ودلّ عليه أولياء لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به." وروي عن إبراهيم عن أمير المؤمنين عليّ — كرم الله وجهه — أنه قال في خطبة له: لا نسب الإسلام نسبه لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار، هو الأداء والأداء هو العمل، ثم قال: إنّ المؤمن أخذ دينه عن ربه، ولم يأخذ عن رأيه، إنّ المؤمن يعرف إيمانه في عمله، وإن الكافر يعرف كفره بإنكاره. يا أيها الناس دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره، إنّ السيئة فيه تغفر، وإن الحسنة في غيره لا تقبل، ويقول الله — سبحانه وتعالى —: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>4</sup>.

من اختار طريقا سوى ما اختارها الله للعباد، فلن يقبل منه، ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، كما قال النبي — صلى الله عليه وسلم —: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ" ويقول — عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. داوموا على الإسلام، واهتموا به في حالة الصحة والمرض لتموتوا عليه، فإن من أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلا تأتبه المنية إلا أن يكون آمنا بالله واليوم الآخر والقدر، خيره وشره، فإن من قضى حياته على شيء مات عليه، وسيحشر يوم القيامة على مات عليه، ونستعيد بالله من خلاف ذلك. وفي الحديث الصحيح عن جابر — رضي الله عنه — قال: سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عزّ وجلّ"<sup>5</sup> فالإسلام كما قيل: هو عبارة عن التوحيد والانقياد، وقيل: إنّها عبارة عن شريعة التي أتى بها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — و قال عنها الله تعالى، فإن من آمن بغير شريعته — عليه الصلاة والسلام — فلن يُقبل منه البتة، والرضى بالشيء هو قبول الشيء، وإثابة فاعله عليه.<sup>6</sup> كلمة "الإسلام" في اللغة العربية تعني الخضوع والاستسلام والطاعة، والإسلام دين يقوم على أساس من الخضوع المطلق لله — تعالى — وطاعته، فهذا سمي "الإسلام" وجاء محمد — صلى الله عليه وسلم — من عند الله برسالة الإسلام، فبلغ الناس وأدى الأمانة، وتظل الأمانة باقية إلى إقامة الساعة إلا ما شاء ربك، وتلك الأمانة هي التي يعرفها العالم باسم "الإسلام" وهي التي صفّاها الله — عزّ وجلّ — بالقرآن من العبث، وكانت حياة

رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هي الأسوة الحسنة لها.<sup>7</sup>

يقول برنادشو: إني أخفي كل احترام لما أتى به محمد — صلى الله عليه وسلم — لحياته العجيبة وهو الدين الوحيد الذي أرى أنه له قوة كبيرة في تغيير جميع أنواع البشرية، وأنه صالح لكل عصور. لقد طالعت شخصية هذا الرجل البديع، و أرى أنه يستحق، بل واجب أن يسمى بمنقذ البشرية دون أن يكون في ذلك عداء للمسيح، وإني على البينة و اليقين الكامل، أن الرجل مثله لو يجد الفرصة أن يتولى مسؤولية وحكم هذا العالم الجديد هذا العالم الحديث وحده لاستطاع أن يحل جميع مشاكل هذا العالم و حده بطريقة جيدة تؤدي إلى السلامة والسعادة التي العالم بأمس الحاجة إليها، وإني أستطيع أن أخبركم أن الفكرة التي أتى بها محمد — صلى الله عليه وسلم — ستلقى غدا قبولاً عاماً و حسناً في أوروبا، وقد تجد اليوم أيضاً أذاناً مصغية إلى هذا الدين في أوروبا.<sup>8</sup>

يقول ( Robert Briffault ) في كتابه واصفاً فيه الحضارة الإسلامية ( The Making of Humanity ): "ما من تقدم في مدن و أرياف أوروبا إلا وله نموذج في الحضارة الإسلامية و له دور كبير وحماسته تأثير كبير على قلوب الناس". ويقول أيضاً: " ليست فقط العلوم الطبيعية (التي مرجعها العرب) أرجعت أوروبا إلى الحياة الجديد، بل للحضارة الإسلامية دور عظيم و أثر كبير في تغيير أوروبا منذ أن أرسلت أشعتها الأولى إلى أوروبا.<sup>9</sup> فالإسلام دين لا جبراً و لا أساطير فيه و تعليمه واضح، و بسيط لا تعقيد فيه و لا إهام و مفهومه بَيِّن، و واضح، و لا توجد فيه المعتقدات و لا الخرافات التي تنافي العقل السليم، بل يدعو الإسلام إلى أن الله واحد لا شريك له و محمد رسول الله، و البعث بعد الموت و القدر خيره و شره، هذه هي الأمور و المبادئ الرئيسية في العقيدة الإسلامية.

و لا يوجد في الإسلام من يغير من الدين شيئاً، و لا فيه أفكار واهية، و مجردة يصعب تصديقها و لا أمور شرعية صعبة، بل يمكن لكل إنسان من أن يقرأ كتاب الله — عزّ وجلّ — ثم يجعل حياته عملياً طبقاً لكتاب الله ووفقاً لهذه الشريعة. وهكذا يُنقذ الإسلام البشرية من الظلم و الجهل و الخرافات الواهية، و يرشد إلى العلم و النور، بل الإسلام دين نموذجي مثالي و عملي، و ليس منحصر في اعتقادات و نظريات فارغة عميقة، بل يؤكد أن الاعتقاد الإيماني ليس خرافات يتيقن بها البشر، بل يصبح مقصد حياة البشر فتجري روح الإيمان في جميع ما يقوم بالأعمال مجرى الدم في عروق الإنسان، لأن اقتضاء الإيمان بالله تعالى هو تكميل أوامره، و الدين ليس فقط الذكر يذكر بها الله و تردها الألسنة، و لا كلمات تقاتل بها البشر، بل هو الحياة كله، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿الذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبى لهم و حسن مآب﴾<sup>10</sup> وقال النبي — عليه الصلاة والسلام — : إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه".<sup>11</sup>

ولذا نقول: إنّ الإسلام دين البساطة والعقل والواقعية؛ لأنّه لا يفرق فرقا كاملاً بين الروح والمادة، بل يستدعي إلى الحياة البشرية التي تنظم بين مقتضيات المادية والروحية، ويتولى ترتيب هذه الحوائج و لا يثبت الحرمان

ولا يمنع من الحياة المادية تماماً، بل يضع الخطوة إلى التقدم في تركية النفس والروح، باختيار تقوى الله في مجالات شتى من الحياة البشرية ولا ينكر المطالب الدنيوية. و لكن البشرية بسبب فسوقها سيطرت على جانب واحد من الجانب الروحي والمادي في مختلف الأديان والمذهب، فمنهم من بالغ في الجانب الروحي وتجاهل الجانب المادي كلياً، وظن أن الدنيا والمادة وهم، وخيال، وخدعة، بل وهناك من ظن أن الارتباط بها شرك ويجب الفرار منها، ومنهم من بالغ في جانب المادة وتجاهل الجانب الروحي وقال عنه: إنه وهم في وهم، وتلفيق خيالي، بسبب هذا فقدت البشرية الأمن والرضى والاستقرار ولم تجد إلا التعاسة و الشقاء و إلى يومنا هذا التوازن مفقود بين الجانبين.<sup>12</sup> الإسلام دين لا إفراط فيه، ولا تفريط، ليس مثل مذهب النصارى المحترع، فإن الدين عندهم قاصر على الكنيسة فقط، ولاروس الكبير الذي يحدد صلة العبد بالله ولا علاقة له بالحياة ونظمها ومعاملاتها، وفصلوه منها واستأصلوا شأفته عنها، هذا ما جاء في أكبر المعاجم، كدائرة المعارف البريطانية وذلك ما يساوي لدينا، بـ :باب العبادات، ولكن الإسلام لا يقتصر على العبادات، فحسب، بل يشمل جميع شعب الحياة.

وعلى عكس ذلك لو نطلع على كتاب واحد من كتب الفقه، فنرى فيه باب العبادات وهذا الدين لدى النصارى، وباب المعاملات وهو ما يعرف باسم القانون المدني، وباب الزواج والطلاق وهذا ما يسمى بـ :حقوق دستورية، وأما باب الحدود فهو قانون جنائي أو جزائي وغير ذلك من الأبواب، مثل: الوصايا والمواثيق وباب الآداب. فالإسلام دين ودستور فيه قوانين مدنية، جزائية، دولية، مزين بأخلاق وتوجيهات وآداب حسنة، فإذا قيل بفصل السياسة عن الدين وقبلنا هذا القول، فماذا نفعل إذا كانت السياسة جزءاً من الدين؟! وكذلك سورة البراءة، فيها كلام عن سياسة دولية، فهل نفصل سورة البراءة عن القرآن الكريم، ونخرجها من القرآن الكريم.

قالوا أيضاً: إن الغنى لا يدخل ملكوت السموات لأجل الغناء والمال، بل يسمى الإسلام المال في القرآن الكريم بـ: خير، فقال: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾<sup>13</sup> ويقول — سبحانه وتعالى —: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبنا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾<sup>14</sup> فالإسلام إذن عبارة عن مجموعة أمور الدين والدنيا وعبادة الله وأخلاق حسن وقانون لحياة البشرية فلا ينفصل الإسلام عن السياسة.<sup>15</sup> يقول العالم الفرنسي الدكتور دي بروجي (Dr.De Brigbi): "يمكننا أن نقول: إن أخطر شيء في التمدن المادي هو نفسه، لأنه موجه إلى نفسه، ألا وهو الاحتلال وعدم التوازن المتوقع حدوثه، إن ما وجدت الحياة الروحية لها طريقاً إلى جانب التمدن المادي، لترجع إلى الحياة الإنسانية وجودها، وتوازنها ما تحتاج إليه"، ولقد اعتمدت المسيحية على أحد الجانبين وأخطأت المدنية الحديثة في جانب آخر.

ويقول لورد سنل (Lordsnell): "لقد أسسنا بنيانا ظاهر النبيل والتناسق، ولكننا أهملنا المتطلبات الرئيسية اللازمة لتنظيم الداخلية، لقد وضعنا التصحيح الدقيق للوعاء، وزخرفنا ظاهره وبدا جميلاً نظيفاً أما باطنه

فسلب واعتصاب وتطرف. إننا لم نستخدم ما عندنا من العلم والقوة المتزايدة على مر الأيام إلا للمتاع الجسدي، ولكننا تركنا الجانب الروحي ضعيفا قاصرا، فالإسلام يرسم الطريق إلى رفعة الجانب الروحي خلال تقوى الله في نواحي شتى من حياة البشر.

وقد يحكي الله — سبحانه وتعالى — عن عباده الذين عملوا الصالحات: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾<sup>16</sup>. فينبغي أيضا على أولئك الذين لا ينعمون بفضل الله الواسع، وما خلق من متاع، فيقول: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾<sup>17</sup>. ويقول عليه السلام: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم".<sup>18</sup> ويقول مخاطبا عبدالله بن عمرو بن العاص: "ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلى الليل؟ فلا تفعل فإنك لعينك حظا ولأهلك حظا فصم وأفطر وصل ونم".<sup>19</sup> ويقول في مناسبة أخرى: "ثلاث من الإيمان: الإنفاق من الإقتار وبذل السلام للعالم والإنصاف من نفسك".<sup>20</sup>

فالأمر الأساسي في الإسلام هو التوازن بين الحياة الروحي والمادي، وعلما بأن جميع ما في الكون مسخر للإنسان ولكن الإنسان مأمور بمعرفة الله — تعالى — وبتنفيذ ما أمر به من الله — تعالى — ولا شك أن للإنسان في الإسلام تعليمات روحية ومدد لحاجته الدنيوية، ويحرضه دائما على تزكية النفس، كما يحرضه على ترتيب الأمور وتنظيم أوقاته، ويمنع الظالم، يمشی طريق الفضيلة، ويمنع من الرذيلة والرجس، وذلك لأن خير الأمور أوسطها وطريق الإسلام هو الطريق الوسط المثلى.<sup>21</sup> فالإسلام لا يزال باقيا على حاله وقادرا على أن يجعل من الإنسان ناجحا إن اختاره الإنسان كما حقه، ولكن للأسف الشديد للإسلام في أذهان الناس صورة مشوهة، لذا يكرهون اسم الإسلام، ويحسبون أن مصالح الإسلام مقيدة بالمسلمين، وأن ما عليه المتمدنون اليوم لا يكون إلا بمخالفة الإسلام، لذلك صورة الإسلام مكونة عندهم بالتخلف والجهل بعلوم العصر وصورة الدعوات المخالفة له وليست مقرونة بثمرات الحضارة والصعود إلى القمر.

كلا وحاشا ليس هذا هو الإسلام، كما ظنوا، بل الإسلام أن نتعلم العلم، والعلم هو معرفة الله وإقرار بالرسول وعلم الكون والحيوان والجوارح والأبدان، يقتضي الإسلام أن نكون سادة العالم، وحكامه. هل يفر الإنسان من قبول الإسلام، لأنه يأمر الإنسان بالسوء أو يوصل الإنسان إلى الكفر والشرك ويهوي بالإنسان في نار جهنم. فالإسلام ينبيئ الإنسان إن لهذا الكون ربا، وإن الحياة بعدها الموت، وإن الدنيا فانية والآخرة باقية، وإنك أيها الإنسان غدا يوم الحشر ستحاسب على كل صغيرة وكبيرة لا منجاة لك ولا مهرب من هذا الحساب، فأعد لما لا بد منه، وفكر من الآن في الجواب، واترك الظلم والعدوان، وكون من أهل العدل والإحسان، ولا تتبع الهوى، ولا تأكل الحرام، ولا تسمع كلام الشيطان، بل اتبع شرع الله الرحمن.<sup>22</sup>

وليس الإسلام عمامة، ولحية، ولا كان تظاهراً، وتفاخراً، ولا كان قرآناً يتغنى به لطرب، ولا أحاديث تقرأ للتبرك، ولا كان في المسلمين من يكذب أو يغش أو يخون بل الإسلام عقيدة تقحم الجبال لا يخشى صاحبها في الحق والفقر؛ لأنه يعلم أن الرزق مقسوم ولا يخاف في الواجب الموت، لأنه يوقن أن الأجل محتوم، وعبادة إخلاص لا عبادة رياء وتدبر للقرآن وعمل به وصدق في القول، وفي الفعل، وأمانة في الغيبة والحضور، وعفاف في الخلوة والملا، واتحاد والتعاون على الخير، وجهاد للنفس والعدو، وهذا هو هدي محمد — عليه السلام — الذي جعل أجدادنا ملوك الدنيا وسادة الأرض، وهذه عاقبة تركنا هدي محمد عليه السلام . ذلنا حتى غلبنا على ديارنا اليهود. ما هذه نعمة التقدم التي صار بها الكلام موضة العصر وعلامة التمدن والفهم؟

و قالوا: إن التقدم هو أن تدعو الناس إلى عصر الذرة والصاروخ والرجعية هو أن تقول: كن كما آباءك قبل ألف سنة، ولكن هل كل ما كان قبل ألف سنة شر وكل ما في عصر الذرة خير؟ إن أقدم شيء في الدنيا هو العقل، فإذا ترك الدين ونصبح ملحدين؛ لأن الدين قديم، فيجب أن نترك العقل ونصبح مجانين؛ لأن العقل أقدم من الدين. فإذا ما معنى التقدم؟ أخشى أن لا يكون التقدم تقليد الغرب في كل هب ودب، فإن خلعوا لباسهم وكشفوا عورتهم كان سترها رجعية وإن أعلنوا الزنا كان المنع من الزنا رجعية، وإن ارتدوا (البنطالون) من فوق (الجاكيت) من تحت أو جلسوا على الأرض وضعوا الكراسي على رؤوسهم أو تناولوا الحساء بالشوكة، والبطيخ بالملقعة، فقد وجب في قانون التقدمية أن نفعل مثل ما فعلوا، وإلا صرنا رجعيين، وفي كل زمان خير وشر، ولماذا نسمي من يدعوا إلى فضائل الماضي رجعياً.<sup>23</sup>

جاء الإسلام مبدئياً بالأمر التي معمول بها في شريعة الجاهلية بالتعديل يتفق مع روحه ورسائله، وطبيعة الرسالات السماوية، فقال — عليه السلام — والصحابة حوله: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً". فالصحابة استغربوا من كلام الرسول — صلى الله عليه وسلم — فقالوا: هذا ننصره مظلوماً وكيف ننصره ظالماً ففسره — صلى الله عليه وسلم — التفسير الإسلامي الجديد، وقال: "تأخذ فوق يده". ظلّ العالم الإسلامي متمسكاً بهذا المبدأ الشريف، ينصر المسلمون إخوانهم الظالمين والمظلومين، ويحولون بين الظلم والظالم ويدمون الظلم بجميع أقسامه وأنواعه، ولا يساعدون الظلم ولا يقومون لجواره ولا يسكتون عليه مهما كانت عاقبة ذلك.

ثم أتى على المسلمين زمن تغلبت عليهم الأنانية وشهوة النفس وطلب الحكم والملك، وانتهت فيهم الحمية الإنسانية فضلاً عن الغيرة الإسلامية، فنتيجة ما كان يبالي بسقوط الحكومة الإسلامية، ولا هجرة شعب مسلم عظيم من بلادها وأوطانها أو جعل مساجد كنائس، وتحويل الأذان بالناقوس إلى غير ذلك من الفضائح التي لا يتحملها الإنسان الشريف، ومن ثمة وقعت كارثة الأندلس، فلم يسطع الشاعر الأندلسي صالح بن شريف الزندي، الذي في العالم الإسلامي، ولم يستطع شعره الحزين الباكي أن يحرك ساكن القلوب ويثير كامن الغيرة والحمية.<sup>24</sup>

يكتب الداعي الإسلامي الشهيد الأستاذ سيد قطب — رحمه الله عليه — له مؤلفات كثيرة، ومن مؤلفات الدينية: ( في ظلال القرآن في ثلاثين جزءاً والعدالة الاجتماعية في الإسلام ومعالم في الطريق والسلام العالمي والإسلام) في كتابه السلام العالمي والإسلام: إن عقيدة الإسلام هي أبرز مثال، بل المثال الوحيد الذي وحدته الإنسانية في حياتها الطويلة في هذا المجال. لا غرو أن عقيدة الإسلام تحتوي جميع حقوق حياة ونشاط البشرية، فلا يتقيد مقصدها على حقل دون حقل ولا على طرف دون طرف ولا عن أمور فرد وترك الجماعة، بل إنها مسؤولة عن روح الفرد وحاجات الجماعة.<sup>25</sup>

فقد سنّ الإسلام سبيل التفكير الصحيح، ودعا المسلمين إلى التفكير في خلق السموات والأرض، وما خلق الله من شيء، ونادى بالتأمل في الليل والنهار، واختلاف الطبائع والأجناس، وفض عن العقول ومغاليقها، إذ فتح للذهن طريق التأمل والنقاش، فأنشأ روحاً قويا من البحث الهادف، واحتقر التقليد الأعمى، ودعا إلى التقليد النظر والبحث حتى علم المسلمون: أن لهم رسالة عقلية تتجه نحو دراسة الكون، ويكون من أول أهدافها العمل على أن يخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العرفان، وإلى نور الإيمان.<sup>26</sup>

فالإسلام دين عمل وحياة وبعث، دين سمو وارتقاء وخلق، دين سعة وشمول واحتواء، وإذا كان الإسلام يقول كلمته في شتى الشؤون المختلفة في الكون، فآثورة الديني بارز المعالم في كل مجال. وفي الإسلام نجد تناسقا فريدا بين الحياة الفردية والحياة الاجتماعية بحيث إن الإسلام يعتبر كلا منهما مسؤولاً ويضمن للفرد الحقوق الأساسية ولا يسمح لأحد أن يعيث بها كما منح المجتمع حقوقا خاصا بها ولا يأذن للفرد أن يغتصبها.<sup>27</sup>

ويقول الله — عزّ وجلّ — في محكم كتابه: ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه سوف يرى \* ثم يجزاه الجزاء الأوفى. <sup>28</sup> ويقول — عزّ وجلّ —: ﴿له معقبات من يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ <sup>29</sup> ويقول النبي — عليه السلام —: "ما آمن بي من بات شعبان وجاره جائع وهو يعلم به" <sup>30</sup> ويقول أيضا: "المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم". <sup>31</sup> إن الإسلام يأمر بالعدل والمساواة بين الناس، قال — تعالى —: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾. <sup>32</sup> ويقول — عزّ وجلّ —: ﴿وإذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل﴾. <sup>33</sup> وقال — عزّ وجلّ —: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾. <sup>34</sup> ويقول — عليه السلام —: "أيها الناس! إن ربكم واحد كلكم من آدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى". <sup>35</sup> عن ابن عباس — رضي الله عنهما — في قوله — تعالى —: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ (الآية: 70 من سورة الإسراء) أن التفضيل بالعقل <sup>36</sup>

قال الجرجاني: الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط هو العدل والاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً، هي العدالة في الشريعة. <sup>37</sup> جاء رجل من أهل العراق عند عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قائلاً: لقد جئتكم لأمر ما له رأس ولا ذنب، فقال عمر — رضي الله عنه — ما هو؟ قال: ظهرت شهادات الزور

ملكنا، فقال عمر — رضي الله عنه — : أو قد كان ذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: والله لا يوسر رجل في الإسلام بغير العدول.<sup>38</sup>

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — إليه، أما بعد ! فإن مدينتنا قد دمرت، فإن شاء أمير المؤمنين أن يخصص لها مالا يرمها به فعل، فأجابه عمر بن عبد العزيز قائلاً: قد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، أن مدينتك قد دمرت، فإذا وصلك كتابي هذا فحصبها بالعدل ونظف طرقاتها من الظلم فإنه مرمتها والسلام.<sup>39</sup> قال ابن حزم: من أفضل ما أنعم الله — تعالى — على الإنسان أن يوفقه على العدل ويجعل في قلبه حبه ويثبت على الحق و إيثاره.<sup>40</sup> قال القرطبي — رحمه الله — : وأما التفريق بين المساكن بسبب الصورة والجمال فغير جائز؛ لأن النبي — عليه السلام — سوى بين أحكام المساكن في جميع الأحوال فقال: " المسلمون تتكافأ دمائهم"، وإذا كانوا في الدماء سواء فما بالك في غير ذلك.<sup>41</sup> ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد في كتاب " المرأة في القرآن " حقوق المرأة في الإسلام في الأديان والمجتمعات القديمة السابقة قبل الإسلام " شريعة مانو " في الهند لم يخصص في هذه الشريعة حقاً مستقلاً للمرأة، لا في إرث أبيها وولدها وزوجها بعد وفاتها، فإذا توفي أحد من هؤلاء وجب أن تنظم إلى رجل من أقرباء زوجها في النسب، وأدها وأمر من هذا أنها تحرق نفسها مع زوجها على موقد واحد يوم موت زوجها وقد استمرت هذه العادة منذ قرون كثيرة إلى القرن السابع عشر و تُرِكَت هذه العادة السيئة بعد ذلك رغم أنف أصحاب الشعائر الدينية.<sup>42</sup>

وقد وردت في الكتب قصة امرأة مخزومية، سرت في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في غزوة الفتح، فذهب قومها إلى أسامة بن زيد — رضي الله عنه — ليشفع لها عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فتغير وجه الرسول — عليه السلام — فقال: " أ تكلمني في حد من حدود الله؟ " قال أسامة: أستغفر الله لي، فلما كان العشي قام الرسول — عليه السلام — خطيباً، فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد! فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".<sup>43</sup> قال الربيعي ابن عامر رسول المسلمين في مجلس يزدجر: الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"<sup>44</sup> وقال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — لعمر بن العاص — رضي الله عنه — والي مصر وقد ضرب ابنه مصرياً وافتخر بآبائه قائلاً: خذها من ابن الأكرمين، فاقتص منه عمر — رضي الله عنه — : متى استعبدتم الناس وقد ولد منهم أمهاتهم أحراراً".<sup>45</sup>

ذكر المؤرخ الكبير ابن الأثير — رحمه الله — في " الكامل " أن المعتصم وصل إليه خبر امرأة هاشمية استغاثت، وهي مسجونة في أيدي الروم: "وا معتصماه" فلي مناديا وهو جالس على سريرته: لبيك ! لبيك! وانتفض من ساعته، وأعلن في قصره: النفير! النفير! وأشهد القضاة والشهود على وقف من الضياع و غزا (



عمورية) وأمر بها فهدمت وأحرقت. <sup>46</sup> وقال النبي — عليه السلام — : " إنما النساء شقائق الرجال ". <sup>47</sup> وقال — عليه السلام — : " إن الله يوصيكم بالنساء خيرا فإنهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم ". <sup>48</sup> وقال — عليه السلام — : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم ". <sup>49</sup> وقد اعترف كبار فضلاء العرب وكبار المستشرقين والباحثين بعظم دور الإسلام في إقرار مبدأ المساوات البشرية وتطبيقه عمليا في المجتمع، ويعمل فيه بتعاليمه. ويقول المؤرخ الفيلسوف (A.J. Toyanbee) في كتابه الحضارة في الامتحان ( Civilization On Trial ): إن القضاء على الفوارق السلالية والعصابات الجنسية والدموية أعظم مآثر الإسلام ومفاحره، أما العصر الحاضر الذي نعيش فيه، فإن هذه الفضيلة هي كبرى حاجات هذا العصر. <sup>50</sup>

فالإسلام لا يحصر أوامره وفعاليته في نطاق الحياة الفردية للإنسان من تصور المساوات في الإسلام فصلها الشرع الحكم منها:

- 1- التساوي بين الرجل والمرأة في أداء أمور شرعية والإثابة عليها.
  - 2- التساوي بين الزوجات في الحقوق الزوجية إذا كانت النساء أكثر من واحدة.
  - 3- التساوي بين الأولاد في الإرث والهبة والوصية ونحوها.
  - 4- التساوي في الجلوس في مجالس القضاء والمساواة في سماع الأدلة منهم ومطالبة القصاص من المعتدي مهما كانت منزلته.
  - 5- التساوي في الحقوق الإنسانية فلا يعذب أحد بسبب العيب في لونه أو بسبب حسنه أو مذهبه وعقيدته.
  - 6- المساواة في حرمة الدماء والأموال. <sup>51</sup>
- ومن فوائد العدل والمساواة:

- الأمن لصاحبه في الدنيا والآخرة. — دوام الملك وعدم زواله.
- رضا الرب قبل رضا الخلق. — سلامة الخلق من شره.
- طريق موصل إلى الجنة.

المساواة بين الرجل والمرأة في حق العبادة وحصول الثواب يجعل المرأة تشعر بقيمتها وكأنها لا تشكّل الجانب الأضعف. <sup>52</sup> فالإسلام لا يقيد أوامره في نطاق الحياة الفردية للإنسان، كما شوّهت صورته لدى الكثير من المستشرقين، بل الإسلام هو النظام الكامل لحياة كل من البشر في جميع ما يحتاجه في حياته اليومية، وفي جميع جوانبها، سواء في ذلك الحياة الفردية والجماعية وفي الأمور المادية والروحية والحوائج البشرية، التشريعية، السياسية والثقافية. والقرآن يحرض الإنسان على اتباع الإسلام دون أي شرط وقيد إلا أنهم مكلفون بجميع أوامره بعد التسليم له، ولكنهم ضلوا عن الصراط المستقيم، فلم يقبلوه إلا في الحدود الخاصة للفرد، الجاهل من الحكم الإلهية والنور

الرباني، فيما علمه من تعاليم تنظيم مجتمعه وثقافته. وما نظن أن هناك سبب آخر أهم من هذا في أسباب الانحلال الديني في عصرنا الراهن، حيث رجع الناس القهقري بدينهم، وأغلقوه في الحيز الضيق في الحياة الخاصة.

و لا حاجة للدراسة العميقة حول تعاليم الإسلام، ليعرف أنه يشمل جميع مجالات الحياة الإنسانية، ولا يترك الإسلام أي طرف ومدخل فيها لتتسرب إليها قوى الشر الشيطانية.<sup>53</sup> إن الدين الذي يشمل الحياة البشرية بشعبها ومجالاتها، والذي يسبك الحياة كلها في قالب خاص، لا يمكن أن يعيش بغير حضارة خاصة وجو ملائم به، مساعد على تحقيق أهدافه، ويمتاز الدين الإسلامي من بين الديانات بكون العبادات والفرائض فيه عملاً فراغاً كبيراً، وللطهارة والعفة فيه تصور خاص، فليست الطهارة عنده مرادفة لكلمة فقط كما في الحضارة الغربية فمثلاً الأعلى النظافة فقط، بل إن الحضارة الإسلامية تدعو إلى عفة القلب والنظر وعفة التفكير والخواطر، أما الحضارة الغربية فلا تعرف القلب غير احترام قانون والعرف الشائع.<sup>54</sup> إن تعاليم الإسلام سجل لا يسري إليها التحريف، ولا يتطرق إليها التبديل؛ لأنها في القرآن باقية، ومكتوبة منصوصة، كما أنزلها رب العالمين، للإنسان فيها الهداية، كما أراد الله — عز وجل — دون تبديل أو تحريف، كثير أو قليل، فالقرآن محفوظ من الله — تعالى — كما أنزل منذ أربعة عشر قرناً، ولا زالت كلمات الله على حالتها التي أنزلها الله — تعالى — فيها وكذلك سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — باقية ومحفوظة بتفاصيلها كما وردت دون أي تحريف و تغيير.<sup>55</sup>

فيا شباب المسلمين، اعلّموا أن الدين هو الروح والوطن جسد من تراب ولا بقاء للجسد إلا بالارتباط مع الروح، و اهنّوا يا شباب المسلمين! وفي إحدى أيديكم المصاحف وفي الأخرى السيوف، فاجتماعهما يسعد البشرية وتحصن المدينة، و استيقظوا من السبات العميق الذي طال أمده و اشتدت وطأته.<sup>56</sup> فإن القرآن وسنة محمد — صلى الله عليه وسلم — نعمتان عظيمتان و قويتان حيث أنهما قادران أن تبثا نور الإيمان في قلوب الناس، وتحدثا ثورة عظيمة على العالم الجاهلي، و تقدّران أن تجعلا الأمة الإسلامية غالبية، ومن الأمة الجاهلة المغلوبة، وتحققا على النظام الذي انغمس و تغلغل في الجور.<sup>57</sup> فهذه بعض الخصائص الفريدة في الإسلام وهي تؤكد أنه هو الدين الكامل للإنسانية، و أن الإسلام هو الغالب، وهذا هو الطريق المستقيم.

الحواشي والهوامش

1. الفاروق العدد 125 ذوالقعدة /1432هـ الموافق 2011م

2. المائدة: 2، 3.

3. (آل عمران)، 19.

4. (آل عمران)، 85.

5. تفسير ابن كثير، آل عمران 85

6. تفسير روح المعاني، 345

7. لما أسلمنا، 21 لشيخ قاسم بن أحمد الثاني
8. الإسلام الصحيح — برنار دشو—سنغافورة/1936هـ
9. Robert Briffault The Making Of Humanity Pg:202
10. الرعد، 29.
11. نسائي، راوي ابو أمانة.
12. لما أسلمنا، ص: 31
13. البقرة: 180.
14. الحديد: 27.
15. طريق الجنة وطريق النار لطنطاوي، ص/16-20
16. البقرة،: 201.
17. الأعراف، 32.
18. (الصحيح للبخاري)، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ).
19. (الجامع الصحيح) لمسلم بن الحجاج (ت 261هـ).
20. رواه الزار في مسنده عن عمار بن ياسر.
21. لما أسلمنا لشيخ قاسم بن أحمد الثاني.
22. نور وهداية لطنطاوي، ص، 173.
23. مقالات في كلمات الجزء الأول لطنطاوي.
24. مالات إسلامية في الفكر والدعوة لأبي الحسن الندى ال جزء الأول ، 150
25. السلام العالمي والاسلام للأستاذ سيد قطب رحمه الله .
26. النصوص الأدبية ،: 33، 32. لعبد الرحمن أحمد فرح عقيلان عثمان الثقفي ، وزارة المعارف مكة العربية .
27. لماذا أسلمنا، ص: 35
28. النجم ، 41.
29. الرعد : 11.
30. رواه الطبراني عن انس .
31. رواه ابن ماجه ماجة عن فضالة ابن عبيد .
32. النحل : 90.
33. النساء : 58.
34. المائدة : 42.
35. كثر العمال
36. البحر المحيط : 58\6
37. التعريفات للجرجاني : 153.

- 38 . البداية والنهاية لابن كثير: 37/7.
- 39 . نضرة النعيم : ج 2815/7، مكتبة، دار الوسية.
- 40 . مداواة النفوس: ص/90
- 41 . تفسير القرطبي: ج 3/ص 76.
- 42 . الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، (أبو الحسن علي الندوي)، ص، 64.
- 43 . مختصر أسباب سعادة المسلمين وشقائهم، ص/41-42.
- 44 . (رواه ابن شبيهة) في المصنف، ج 6/، ص 419 عن موسى الأشعري
- 45 . البداية والنهاية (لابن كثير): ج 6/، ص 40.
- 46 . تاريخ الكامل (لابن الأثير): ج 6/، ص 176.
- 47 . رواه الزوار عن أنس.
- 48 . رواه الطبراني عن المقدام.
- 49 . متفق عليه.
- 50 . الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية.
- 51 . نضرة النعيم : ج 4/، ص 1147.
- 52 . نضرة النعيم : ج 7/، ص 2818
- 53 . لما ذا أسلمنا.
- 54 . العقيدة والعبادة والسلوك لأبي الحسن رحمه الله. 194.
- 55 . لماذا أسلمنا، ص/40.
- 56 . مقالات إسلامية في الفكر والدعوة لأبي الحسن الجزء الأول: ص/269.
- 57 . مقالات إسلامية في الفكر والدعوة لأبي الحسن الجزء الأول: ص/219.

#### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير ابن كثير، محقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية 1420هـ - 1999 م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد اليردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري، محقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، 1422هـ.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، محقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط: الرابعة.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: الثانية، 1406 - 1986م.
- مجلة الفاروق، العدد 125، ذوالقعدة 1432هـ - 2011م.
- الإسلام الصحيح - برنار دشو-سنغافورة/1936هـ.
- لما أسلمنا لشيخ قاسم بن أحمد الثاني.
- علي الطنطاوي، طريق الجنة وطريق النار، دار ابن حزم.
- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار [215 - 292]، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، محقق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).
- علي الطنطاوي، نور وهداية، دار ابن حزم.
- علي الطنطاوي، مقالات في كلمات، دار ابن حزم.
- الندوي، الإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني، مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، الأحاديث الطوال، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، ط: الثانية، 1404 - 1983.
- ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القروي، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن قاضي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدي فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ)، كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، محقق: بكري حياي - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة، 1401هـ/1981م.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتي، ط: الأولى، 1414هـ - 1994م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى 1403هـ - 1983م.
- الأستاذ سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، مكتبة نور.
- عبد الرحمن أحمد فرح عقيلان عثمان الثقفي، النصوص الأدبية، وزارة المعارف مكة العربية.

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ، البداية والنهاية، دار الفكر، عام النشر: 1407 هـ - 1986 م.
- عليّ بن سعيد بن حزم بن غالب القرطبي، مداواة النفوس، دار الكتب العلمية.
- الندوي، الإمام السيد أبي الحسن علي الحسيني، الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1417هـ / 1997م.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة، دار القلم.